الاحتلال الفرنسي ودوره في إنقراض الحيوانات البرية المفترسة في الجزائر : الأسود والفهود.

أ.سليمة بودخانة

قسم التاريخ ،جامعة باجي مختار-عنابة-

الملخص

كان للإحتلال الفرنسي دور هدام في القضاء على الحيوانات البرية بالبلاد ،والتي كانت تمثل جزءا من التنوع البيولوجي في بيئة المنطقة، إذ ساهمت سياسة الإدارة الفرنسية في تشجيع الصيد المنظم والعشوائي فكانت تقوم بتنظيم رحلات صيد يؤطرها الضباط وقوات من العسكر ترافق المعمرين والزوار السائحين الذين يبرمجون رحلات الصيد في جولاتهم السياحية للبلاد، بإعتبار أن الصيد كان جزءا هاما وأساسيا لبرامج الرحلات السياحية وعنصر جذب كبير كذلك.كما كانت سلطات الإحتلال تشجع الصيد العشوائي الذي يمارسه المعمرون بوضع وتحديد قيم مالية للحيوانات المصطادة مما يزيد المنافسة حول صيدها والتسابق لجمع المال والإستفادة من فراءها وجلودها.وبذلك كانت سلطات اللإحتلال السبب في إنقراض أنواع عديدة من الحيوانات البرية والسبب كذلك في إنقاص أعداد أنواع أخرى إلى حدود الإنقراض.

Le Résumé.

Le système coloniale était la cause directe de la destruction des espèces animales en Algérie coloniale comme les lions ;le lion de l'Atlas espèce nord africaine , les panthères et d'autres faune du pays .

La politique de l'administration Française favorise et encourage les actes d'extermination brutale menaient par les colons et les voyageurs , sachant que cette dernière organisait des sorties de chasses de colons et visiteurs Français escortaient par des militaires afin de protéger et participer à la chasse des fauves, et le plus remarquant c'est les sommes d'argents et prix pour les chasseurs et leurs chasses ce qui encourage à la chasse de ces animaux et ce qui a causé l'extermination radicale de certaines espèces .

يعتبر التاريخ كما يقول مؤرخ الحوليات الشهير " مارك بلوك " مهنة من خلالها يعمل المؤرخ على كتابة تاريخ منطقة ما أو حدث ما بإعتماد الوثائق التاريخية، لكن كذلك يكون الإعتماد على الشهادات Les témoignages،وهنا تبرز مهارة المؤرخ في إستخلاص الحقائق وكتابة التاريخ، إذ أصبح الإعتماد على الشهادات اليوم من الدراسات الرائجة في البحوث التاريخية الحديثة وتكون بالتوازي مع مادة أرشيفية، وهذا ما سأعتمد عليه في هذه الدراسة المصغرة التي كان منطلقها الشهادات المرتبطة بالذاكرة الشعبية من روايات تعود إلى الأجيال الأولى التي واكبت الإحتلال الفرنسي للبلاد وتداولتها الأجيال عن أسود ونمور وفهود كانت تجول في الغابات وتقترب من المنازل لمهاجمة المواشي خاصة الابقار وبالضبط أقصد منطقة "جبال سكيكدة" مسقط رأس أجدادي فمنهم من كان في صراع دائم مع هذه الحيوانات لحماية مواشيهم التي كانت تمثل مصدر رزقهم وأساس إقتصادهم، ومنهم من قضى حتفه في الغابة من قبل هذه الحيوانات التي مثلت رمزا لسكان المنطقة

ولمجمل سكان الجزائر، والذي كثيرا ما صادفني من خلال قراءاتي لكتابات رحالة فرنسيين وأجانب زاروا الجزائر في السنوات الأولى للاحتلال، وبذلك إعتمدت الشهادات الكتابية المؤكدة لتواجد هذه الحيوانات البرية في الأراضي الجزائرية والتي إنقرضت بفعل الصيد المنظم الذي قادته سلطات الاستعمار الفرنسي ضد هذه الحيوانات في الغابات الجزائرية وبذلك سببت حلقة مفقودة في التنوع البيئي الحيواني في البلاد، وهذا ما يعتبر جريمة ضد البلاد وثرواتها وتعد على الطبيعة ، فالإستعمار الفرنسي لم يقم بإبادة السكان فقط بل دمر الطبيعية والتوازن الإيكولوجي.

ومن هذا المنطلق تتمحور إشكالية دراستنا حول الدور الذي قامت به سلطات الاحتلال الفرنسي في إنقراض الثروة الحيوانية للبلاد من خلال عمليات الصيد المنظم ضد الأسود والنمور والفهود الذي قاده ضباط الجيش الفرنسي، ومثل فرجة بالنسبة للزوار من خلال شهاداتهم عن عمليات صيد منظم وقتل لهذه الحيوانات التي مثلت جزءا من التنوع البيئي وموروث ثقافي وإقتصادي للبلاد منذ القرن الثالث قبل الميلاد لما كانت الأسود النوميدية تصدر إلى روما في عهد "الملك ماسينيسا" وكانت لها شهرة في العالم القديم إلى غاية دخول الاحتلال الفرنسي .

وإعتمدت في هذه الدراسة بصفة كلية على كتابات الرحلة التي مثلت شهادات لرحالة زاروا البلاد، بعضهم رافق الضباط في عمليات الصيد وبعضهم روى عنها، ويبقى الثابث هي شهاداتهم عن دور السلطات الفرنسية في التسبب المباشر في إنقراض هذه الحيوانات من غابات البلاد.

وتمثل هذه الحيوانات البرية خصوصية بيئية في البلاد ،خاصة الأسود المحلية والمعروفة بسلالة "أسد الأطلس الجزائري"، وآخر أسد من هذه السلالة قتل في "سد فم الغرزة" بمنطقة بسكرة في القرن التاسع عشر، في حين آخر أسد أطلسي شوهد بجبال سوق اهراس كان عام 1911، أما في المناطق الجنوبية ببانتة "بجبال لارباع" أي حتى النصف الثاني من القرن العشرين حوالي سنة 1920 فإن هذه السلالة تمكنت من البقاء بأعداد قليلة جدا إلى غاية القضاء عليها من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي، وإنقرضت هذه السلالة في القرن العشرين من الطبيعة البرية في حدود عام 1943 بسبب الصيد المُنظم من قبل الادارة الإستعمارية.

والجدير بالذكر أن هذه السلالة المنقرضة بالجزائر حافظت عليها السلطات الألمانية في حدائقها ،وفي هذا الرابط فيديو عن الأسود الاطلسية في المانيا التي ماتزال اليوم تعرض في الحدائق العامة :

http://www.youtube.com/watch?v=v070lGE1BNg

أولاً: الأسود وا لنمور في الفلكلور والثقافة الشعبية لسكان ا لبلاد.

مثلت الأسود جزءا من الموروث الثقافي وإرتبطت بالمعتقد والفلكلور الشعبي ،كترويض الأولياء الصالحين لها أو تمحور القصص الشعبية حولها ،فإحدى الروايات الشعبية تصور قدرة الولي الصالح "سيدي بومدين" الذي روض أسدا كان قد أكل حمار أحد سكان جبال الأطلس ،فأمسك به من رقبته وسلمه لصاحب الحمار مُرَوضا ،وقال له خذه سوف يقوم لك بأعمال الحمار ،ومنذ ذلك اليوم أصبح الأسد يتبع صاحبه كالكلب الوفي حتى عاد هذا الأخير للولي الصالح راغبا في التخلي عنه فكلم "أبي مدين" الأسد وحذره من أذية الناس وإن فعل فإنه سيرجعه عبدا من جديد لهذا الشخص ،ففر الأسد بعيدا ولم يعد ثانية[1]، كما مثل الأسد مخيالا شعبيا خصبا فكان يتحدث أو يفهم الحديث كما جاء في رواية عن أسد صادق صياد أسود مشهور إسمه " حسين" في فترة "أحمد باي" ،كان صيادا لمدة إحدى عشر سنة إصطاد خلالها عدد كبير من هذه الحيوانات ومات مقتولا من قبلها ،تقول الرواية أنه صادق أسدا سماه "سيدي جليد بن جلاد" ولما تواجه معه دون سلاح حادثه وكان الأسد مسالما معه ولما توفي الصياد إختفى الأسد من المكان[2] ،فالأسد هنا مثل رمزا عقائديا للسكان إرتبط بكرامات الأولياء وشجاعة الأقوياء وحظي هذا الحيوان بإحترام بين أوساط السكان.

وإرتكزت أحاديث السكان في الخيام على الأسود ،كما ترسخت لدى السكان معتقدات فكرية عن الأسود ،يصفها مطولا الأديب الفرنسي الشهير "آليكسندر ديما" في رحلته إلى البلاد عام 1849 ،فالعرب في نظره صيادون مهرة يحترمون الأسود كثيرا ويطلقون عليه تسمية "الجان بن الجان" لقوته ودهائه كما كان الإعتقاد سائدا أن الأسود تغير أكلها أربع مرات في العام ففي الثلاثي الأول من السنة يأكلون الشياطين وفي الثلاثي الثاني يأكلون لحوم البشر وفي الثلاثي الثالث يأكلون الصلصال وفي الثلاثي الرابع والأخير يأكلون الحيوانات .

ويسرد "ديما" بعض الإعتقادات التي إرتبطت كذلك بالأدب الشعبي ،فالعرب يعتقدون أن الأسود تحمل كل فرائسها على أكتافها ما عدى الخراف التي تضطر لجرها عقابا لها ،فبعد أن تفاخر أمام الحيوانات بقوته ناجى الأسد الله بأن يمده بالقدرة على حمل كل فرائسه على كتفيه وذكر كل الحيوانات بإستثناء الخراف التي نساها فعاقبه الله بلعنة جرها.

وذكر كذلك أن العرب يأكلون لحوم الأسود ويعتقدون بقدرتها على مداواة بعض الأمراض ،غير أن ذلك لم يكن صحيحاً.

---

[1] Alphonse Certeux, E.Henry Carmoy, Contribution au folk-lore des Arabes. L'Algérie Traditionnelle, tome 1, Paris, Maisonneuve et Leclerc, Challamel Ainé, 1884, p.119-120.

[2] Ibid, p.176-177.

وفي إطار الإعتقادات كثيرا ما كان المرابطين والدراويش ومدعي الولاية ما يستأنسون الأسود ويروضونها لتصبح حيوان مرافق مما يزيدهم إحتراما وتبجيلا من السكان[1].

وإشتملت المعتقدات كذلك على تبادل الأحاديث بين الرجال والأسود ،فالعربي لما يجد أسدا في طريقه يترجل عن حصانه الذي يرتعد لمجرد رؤية هذا الأخير ،ويكلم الأسد وعادة ما يقول له أنت شجاع وأنا كذلك فأتركني أمُر بسلام ولما يرى الأسد أن الرجل كان شجاعا ولم يَخف منه يتركه يمر دون أن يؤذيه ،وتعددت أوصاف الصراع بين الإنسان والأسد فالأسد يحيط بفريسته ويحاصرها ثم يهاجم في ذهاب وإياب قد يتوجه لشرب الماء والعودة ثم ينقض على الضحية فإن كان رجلا يبدأ في إلتهام أعضائه التناسلية أولا وإن كان إمرأة يبدأ بالصدر وعادة ما يترك الأضلع مرمية دون أكلها ويأخذ ما تبقى من الضحية ،وفي حالة تمكن الضحية من الفرار أثناء محاصرة الأسد له سواءا بمساعدة قافلة أو شخص آخر شجاع فإن هذا المُنقذ الشجاع يواجه الأسد ويكلمه مقتربا منه ويقول له مخاطبا أُنظر إلي أنا شجاع مثلك ولكن لا تأكل هذا الجبان الخائف منك لا تُذل نفسك بأكله وسأربطه بالحبال وآخذه عبدا لي ،فعندما يرى الأسد الرجل الخائف مكبلا يرضى ويمشي مبتعدا ،وقد يواجه الأسد رجلا شجاعا يتظاهر بالجبن ولما يهاجمه ينقض عليه بخنجره ،أما إذا واجه الأسد جماعة من الصيادين فإنهم يستفزونهم بنعته بالجبان فيواجههم بكل شجاعة .

وكان الصيادون يُوجهون مقتفي آثر لرصد آثار الأسد عند ظهوره في منطقة ما ،وعند رؤيته من يراه يقول ليس هنا وبذلك يستعدون للهجوم الجماعي ويقول الرائي كذلك للإعتقاد السائد أن الأسود تفهم الكلام وتتعرف على صوت من أخبر عن مكانها فتنتقم منه وتقتله .

ويقدم لنا "ديما" إعتقادا مميزا حول العلاقة بين المرأة والأسد فالعرب يؤمنون بأن الأسود تخاف من النساء فناذرا ما تهاجم إمرأة إلا في حالة الجوع الشديد ،وكثيرا ما تُرى النسوة وهي تطارد الأسود وتضربها بالعصي[2]، وهذا الوصف جاء في كتابات من سبقه كـ"الدكتور شو" في مؤلفه "رحلة في إيالة الجزائر في القرن الثامن عشر" إذ يقول :" قرأت في بعض الكتابات عن البلاد أن النسوة يتمكن من مخالطة الأسود ولا يحتمين إلا بعصي يحملنها ويتمكن من ترويضه دون خطر ويحمين المواشي ولذلك يتكفلن برعايتها دون الرجال..."[3] .

---

[1] Alexandre Dumas, Impression de voyage : Le Véloce ou Tanger, Alger et Tunis, Paris, [s.d], 1855, p.393-394.

[2] Alphonse Certeux, E.Henry Carmoy, Contribution au folk-lore des Arabes, op-cit, p.174, 175, 176.

[3] Docteur Thomas Shaw, Voyage Dans La Régence D'Alger au XVIII e siècle, traduit de l'anglais par E.Mac Carthy (1830), Alger, editions G.A.L, 2007, p.56-67.

وما يمكنني ملاحظته أن هذه المعتقدات هي مزيج من الرابط الديني والأنتروبولوجي في المومروث الثقافي الشعبي للسكان ،الذي يعطي قدرات غير عادية وكرامات للأولياء الصالحين ورجال الدين ،ويقدس الشجاعة سواءا خصت إنسان أو حيوان كذلك يضفي قدسية للمرأة التي تمتعت بحصانة إلهية ضد هذه الحيوانات المفترسة ،أربطها بتفسيرات عقائدية وحضارية تعود لفترات ما قبل التاريخ في التفكير الإنساني القديم ،الذي يعتبر المرأة رمز الخصوبة ويعطيها قدرات خارقة فهي الأرض والأم والقاعدة الجامعة للمخلوقات ،وهذا ما يفسر مجمل التفكير الشعبي للمجتمعات القديمة التي جدرت في التاريخ وكانت جزءا من الحضارة الإنسانية إذ تمثل ثقافتها مزيج من الفكر الوثني القديم والتراكم الحضاري والبعد الديني في النسق الفكري الإنساني.

ثانياً: الأسود وا لنمور في البلاد أثناء الاحتلال الفرنسي.

نقدم نماذج من شهادات لكتابات الرحالة الفرنسيين ، والتي تنوعت وتعددت وكانت جزءا هاما في التأريخ لهذه الفترة، وكانت بدايات التعريف بالمستوطنة الجديدة مباشرة وبصفة مكثفة بعد الاحتلال من خلال إصدارات عامة وخاصة عرّفت بالطبيعة والسكان ،وأكدت على تواجد الحيوانات البرية المفترسة في غابات البلاد أثناء دخول قوات الاحتلال الفرنسي.

فالجزائر بلد شاسع تميز بتنوع التضاريس والغطاء النباتي والحيواني ،ويصف ذلك الكاتب الفرنسي " بارتاي" في كتابه عن الجزائر بقوله :" تعيش بغابات الجزائر الأسود،الفهود،النمور بمختلف أنواعها"[1]،وهذا ما تكرر في تعاريف الرحالة بالبلاد كالرحالة "شالون" الذي زار البلاد عدة مرات وكتب عنها ،ففي وصفه لثروات البلاد من غطاء نباتي وتنوع حيواني ،قال :" نذكر بعض الحيوانات التي تمثل تميزا كالأسود...والنمور أو نمور إفريقيا أو النمور الكبيرة ..."[2] ،وفي مختلف المناطق الجبلية كان إنتشار هذه الحيوانات على إمتداد البلاد ما بين المناطق الساحلية والداخلية ، ففي منطقة الشمال الشرقي حسب ما جاء في وصف الرحالة "بنجمين قاستينو" الذي زار الجزائر مرتين ما بين عامي 1852 و 1858 ،ونقل صور عميقة عن المجتمع الجزائري في كتابات متنوعة وثرية ،إذ يبدأ وصفه للبلاد بقوله : "لدى الجزائر الصحراء، الواحات، البحر والجبال، ودائما سماءها جميل وصافي، أرضها خصبة، وغابات البلوط بها مليئة بالأسود والفهود....." [3] ،وهذه صفة قارة بغابات البلاد التي كانت تعيش بها هذه الحيوانات البرية، ويضيف قائلا في قصة يرويها عن ضابط من الصبايحية في السنوات

---

[1]Arsène Berteuil, L'Algérie Française, Histoire-Mœurs-Coutumes-Industrie-Agriculture, Tome premier, Paris, Dentu, Libraire-éditeur 1856, p.11.

[2] J.Chalon, Souvenir D'Alger, Bruxelles , Librairie Classique A-N, Lebègue Et c[ie] , 1887, p.39.

[3] Benjamin Gastineau, Les Femmes et les Mœurs de l'Algérie, Paris, collection Hetzel, Libraire De Michel Lévy, Frères, 1861, p.5 .

الأولى للإحتلال كان له عشيقة من بونة فرت معه وبنى لها كوخ في غابة "الإيدوغ" يزورها كل ليلة ولما تأخر عنها في إحدى الليالي خرجت باحثة عنه، ففاجأها فهد وإنقض عليها فقضت حتفها بسبب هذا الهجوم، ويستغرب تعايش سكان "قرية بيجو" بجبل "الإيدوغ" مع هذه الحيوانات المفترسة و يشتغل معظمهم في شركة إستغلال البلوط بالمنطقة [1] .

وأحدث تواجد هذه الحيوانات في مجال جغرافي واسع نوع من تداخل المشاعر للرحالة الفرنسيين ما بين الإعجاب والخوف والأسى خاصة لعمليات الصيد ،ففي جبال الأطلس شكلت هذه الحيوانات هاجسا للرحالة حسب وصف الرحالة "ماركوث دي كيفيار" الذي عبر عن تخوفه من الرجوع إلى المنطقة بسبب أحد النمور المعروفة بها[2] ،في حين أن الضابط الفرنسي المعروف " ثريميلي" تأسف كثيرا على ما تلقاه هذه الحيوانات من عمليات صيد أدت بها إلى الإنقراض ويحمل المتسببين في هذه الممارسات المسؤولية الأخلاقية عن ذلك ،وهذا ما عبر عنه في رحلة إلى الهضاب في منطقة الغرب قريبا من منطقة "سعيدة" في أراضي "الحساسنة الشراقة" بسبب إنتشار عمليات الصيد في المنطقة يقودها خليفة الحساسنة[3] ،وبإتجاه الداخل كذلك في المناطق الصحراوية توافرت هذه الحيوانات وكانت رؤيتها من ضروريات الزوار بالتوازي مع عمليات الصيد المنظم[4].

الأسود معالم جغرافية.

في عديد الرحلات يكون الحديث عن الأسود مقترنا بمناطق تواجدها فأصبحت معالم عُرفت بها المناطق أي كانت حيوانات معلمية ،ويكون الحديث عنها مُعنونة في الرحلة كـ: " أسد جبل بوعيزل " الذي تحدث عنه المؤلف "آدولف بودان" في كتابه عن جون كاستيراس مغامرة ثلاث إخوة،كانوا قد جاؤوا إلى البلاد في إطار الإستيطان الرسمي الذي أطرته سلطات الاحتلال الفرنسي، إذ توجهوا إلى هذه المنطقة بحثا عن عمهم الذي كان صيادا للأسود وكانت هذه المهنة منتشرة جدا تكرر ذكرها في عديد الكتابات وإشتهر بعضهم وكُرم بعضهم الآخر من قبل سلطات الاحتلال وهذا ما سنذكره لاحقا، وعند وصول الإخوة قريبا من منطقة تخييم عمهم تقابلوا مع الأسد وكان وصفه دقيقا عند ظهوره من بين الأحراش كان أسداً ضخماً،في مطاردة مع الصياد الذي قضى عليه ببندقية صيد فأرداه قتيلا ،و يصف منظر الأسد ميتا في بركة دماء

[1] Ibid, p.8,9.
[2] Ch.Marcotte De Quivières, Deux Ans En Afrique, Paris, Librairie Nouvelle, 1855, p.305.
[3] C.Trumelet, Les Français Dans Le Désert, Paris, Garnier Frères, Libraires-Editeurs, 1863, p.145,146.
[4] L'Abbé Jean Hurabielle, Au pays Du Bleu Biskra Et Les Oasis Environnantes, Paris, Augustin Challamel, Editeur, 189/, p.95.

بعد ما حاول النهوض لكنه سقط أرضا، وبذلك قتل صياد جبل "بوعيزل" أسد بوعيزل الشهير[1] ،أو "أسد بليدة" كما تحدث عنه الرحالة "هيغ إيمبير" إذ عبر عن بهجته العارمة لرؤية هذا الأسد الذي يعتبره مللك الصحراء ويعيش في شموخ في جبال الأطلس [2] ،والملاحظ أنه في هذه الفترة بدأت أعداد الأسود تتناقص من شدة وتيرة الصيد فهذه الرحلة كانت عام 1888 أين أصبحت رؤية الأسود من المشاهد الناذرة.

و المؤلف "بنجمين قاستينو" الذي زار الجزائر مرتين ما بين عامي 1852 و 1858 ، نقل صور عميقة عن المجتمع الجزائري في كتابات متنوعة وثرية نحاول رصد شهادته من خلال رحلتيه إلى البلاد لنستخلص منها حقائق حول الدور السلبي والهدام الذي قامت به سلطات الإستعمار الفرنسي في الجزائر وبيئتها من غطاء نباتي وتنوع حيواني إذ كانت السبب المباشر في إنقراض الحيوانات البرية المفترسة في الغابات .

يؤكد "قاستينو" على تواجد الحيوانات البرية المفترسة في غابات البلاد أثناء دخول قوات الاحتلال الفرنسي، إذ يبدأ وصفه للبلاد بقوله : "لدى الجزائر الصحراء، الواحات، البحر والجبال، دائما سماءها جميل وصافي، أرضها خصبة، غابات البلوط بها مليئة بالأسود والفهود....." [3] ،وهذه الصفة القارة بغابات البلاد التي كانت تعيش بها هذه الحيوانات البرية، ويضيف قائلا في قصة يرويها عن قصة ضابط شاب من الصبايحية في السنوات الأولى للإحتلال إذ كان له عشيقة من بونة فرت معه وبنى لها كوخ في غابة "الإيدوغ" يزورها كل ليلة ولما تأخر عنها في إحدى الليالي خرجت باحثة عنه، ففاجأها فهد وإنقض عليها فقضت حتفها بسبب هذا الهجوم، ويستغرب تعايش سكان "قرية بيجو" بجبل "الإيدوغ" مع هذه الحيوانات المفترسة و يشتغل معظمهم في شركة إستغلال البلوط بالمنطقة [4].

ثالثاً : شهادات الرحالة عن عمليات الصيد المنظم للأسود من قبل المستوطنين و الضباط الفرنسيين.

نقل الرحالة الفرنسيون شهادات وحقائق عن عمليات الصيد المأجور بأثمان باهضة من قبل إدارة الاحتلال الفرنسي لصائدي الأسود والنمور سواءا من المستوطنين المدنيين أو الضباط العسكريين ، ننقل بدورنا نماذج منها كأدلة تاريخية عن دور سلطات الاحتلال الفرنسي في إنقراض هذه الحيوانات البرية بتشجيع الصيد وتحديد مكافآت مالية للصائدين خدمة للإستيطان ولمصالح المستوطنين .

---

[1] Adolphe Badin, Jean Casteyras Aventures de trois Enfants en Algérie, Paris, Bibliothèque D'éducation et de Récréation, 1888, p.285-288.
[2] Hugues Imbert, Quatre Mois Au sahel, Lettres et Notes Algériennes, Paris, Librairie Fischbacher, 1888, p.170.
[3] Benjamin Gastineau, Les Femmes et les Mœurs de l'Algérie, op-cit, p.5 .
[4] Ibid, p.8,9.

فعمليات الصيد كانت حرة وغير محدودة بالنسبة للمستوطنين الذين كانوا يقومون بالصيد العشوائي وإستهدفت بالدرجة الأولى الحيوانات البرية التي إنقرضت بسبب هذه الممارسات التي يصفها الرحالة "ماركوث دي كيفيار" "بالإبادة" [1] ،ويعتبر هذا الوصف دليل على الدور السلبي الذي قامت به سلطات الاحتلال في إنقراض هذه الحيوانات من السلسلة الحيوانية في الغابات الجزائرية ،وذكر أنه قام بعدة رحلات صيد منظمة خمس أو ست مرات في منطقة جبال الأطلس في آخرها طارد أحد النمور التي وصفها بالرائعة[2] ،والملاحظ في هذه الرحلة المقدمة المتميزة للمؤلف " جاكوب" الذي عرف المنطقة وركز بشكل ملاحظ على الأسود أو كما قال "ملك الحيوانات" والنمور ناقلا مقاطع لدراسات عن هذه الحيوانات بأوصاف دقيقة وإعجاب كبير ،ويتحدث عن تعاملات السكان مع الأسود التي تأتي قرب منازلهم ليلا لتفترس حيواناتهم خاصة الأبقار أين يخيفونها بالنار فقط لتبتعد عن مواشيهم[3] ،وهذا الوصف يتطابق مع الروايات الشفهية التي سمعتها عن تعامل سكان جبال منطقة سكيكدة مع هذه الحيوانات لحماية مواشيهم ، والملاحظ عدم إستعمال الأسلحة للتصدي لها عكس المستوطنين وسلطات الاحتلال التي شجعت الصيد والصيادين ،وكما أكد الكاتب الفرنسي "آليكسندر ديما" أن عدد الأسود تناقص بشكل كبير في فترة الصيادين "جيرار وبومبونال" .

نرصد بعض ما جاء ذكره في كتابات الرحالة كشهادة الرحالة "شالون" الذي قال :" نذكر بعض الحيوانات التي تمثل تميزا كالأسود والتي تناقصت أعدادها في المستوطنة لعدة أسباب منها مصلحة المزارعين الأوروبيين في القضاء عليها لجلودها الثمينة ،وكذلك مكافئة السلطات لصائدي الأسود بمبالغ مالية معتبرة ،وكذلك بنادق الصيد التي عرفت تطورا متواصلا مما زاد في نجاح عمليات الصيد" والشيئ نفسه للنمور التي عرفت عمليات صيد واسعة إذ يواصل قوله:" أما النمور أو نمور إفريقيا أو النمور الكبيرة فتعرضت لحرب شرسة قادها المستوطنون من أجل المكافئة والجلود ، كما كان المسنوطنون يرون أن زوجا من الأسود والنمور يكلفهم ثورا في اليوم فكانت مكافئة قتل هذه الحيوانات تتراوح من 40 إلى 60 فرنك حسب القيمة التي تحددها البلديات"[4] .

أشهر الصيادين الفرنسيين للأسود في البلاد.

[1] Ch.Marcotte De Quivières, Deux Ans En Afrique, op-cit, p.19.
[2] Ibid, p.305.
[3] Ibid, L'Itroduction, p. IV-V.
[4] J.Chalon, Souvenir D'Alger, op-cit, p.39.

وإشتهر عدة صيادون كـ"جيرار قاتل الأسود" الذي كان للكاتب الشهير "آليكسندر ديما" موعدا معه بمدينة قالمة وبعد وصوله إلى مدينة عنابة عام 1849 إتجه لملاقاة "جيرار" ،وعند وصوله إلى قالمة كان "جيرار" في رحلة صيد لقنص لبؤة وشبليها في ضواحي منطقة سكيكدة ،فلحق به "دي ما" ويروي بشغف كبير عن رغبته في لقاء هذا الصياد ومتعة صيد الأسود ،إذ يقول :" لقاء جيرار زاد من فضولي ولكن كذلك الأمل في صيد أسد هو ورغبتي الكبيرة " [1].

كذلك يعرف البرلماني " بول بوردون" بأشهر الصيادين الفرنسيين بالبلاد كـ " جيل جيرار" الذي ذكره "ديما" و"بارتويسي" و"بامبونال" و"الشاسيين" ،ويعتبرهم من أشهر الصيادين في ذلك العصر ،وقاموا بمجمل عمليات الصيد في منطقة الشرق ما بين حدود عنابة وقالمة وسكيكدة ،وكانوا السبب المباشر في إنقراض هذه الحيوانات من المنطقة ،فكان صيدها لجلودها وخدمة لمصالح المستوطنين[2] .

رحلات الصيد.

إن هذه الرغبة في رؤية الأسود وصيدها كانت مطلب جميع الزوار الفرنسيين إلى البلاد ،فالأسود مثلت فرجة وزاد تناقصها من فضول الزوار لتدارك الأسطورة قبل زوالها ،وهذا الضبط ما رصدته في رحلة "هيغو إيمبير" الذي تحدث عن أسد البليدة – سالف الذكر– أين قلّ عدد الاسود ويصف مظهر الصيد إذ يقول :"... في بليدة يوم 25 أفريل ...أخيرا رأيت الأسد ...كان مربوطا بحبل ،و عرَضه العرب على المارة ورُبط في زاوية "سيدي محمد الرحبي" .... وظل في حماية الزاوية ...وتلقى التقديس منها ليصبح حيوانا مقدساً..." ،ويؤكد على تناقص أعدادها بقوله أنه أصبح من الصعب الآن العثور على الأسود في شمال إفريقيا أو النمور أو الفهود ،فالإستيطان توسع على مساحات شاسعة من الأراضي وكذلك تحصل المعمرين على القسط الأكبر من مكافآت الإدارة الفرنسية عن قتل هذه الحيوانات المضرة بمصالح المستوطنين وأبعدوا ما تبقى منها إلى الصحاري ،فالإحصائيات تؤكد أنه ما بين 1873 إلى 1886 تم قتل 200 أسد ولبؤة وكذلك 1000 فهد ،وغيرها من الحيوانات البرية لجبال الأطلس كالنمور بمختلف أنواعها والضباع وحيوانات أخرى[3]

[1] Alexandre Dumas, Le véloce, op-cit, p. 393.
[2] Paul Boude, A Travers L'Algérie, Souvenir De L'excursion Parlementaire (septembre-octobre 1879), Paris, G.Charpentier, Editeur, 1880, p.49.
[3] Hugues Imbert, Quatre Mois Au sahel, op-cit, p.170-172.

كما يورد لنا البرلماني " بوردون" إحصاءات عن عمليات القتل ضد هذه الحيوانات والمكافآت التي يتلقاها الصيادون فعدد الفهود كان أكثر من الأسود والنمور يقتل منها مابين 120 إلى 150 سنويا ،وشجعت الإدارة الأهالي على صيدها فهي تدفع ما بين 40 إلى 60 فرنك على الأسد الواحد أو الفهد .

ومثلت جلود هذه الحيوانات سلع قيمة كانت تباع في الأسواق وحتى في المعارض كالذي زارته بعثة برلمانية ينقل أحد الأعضاء أنه في مدينة عنابة كانت في إحدى أجنحة المعرض الفلاحي والصناعي قاعة مليئة بجلود الحيوانات نجد منها ثلاث جلود رائعة لأسود وبأسعار مرتفعة فجلد لأسد عادي بـ1500 فرنك وآخر به فراء أسود على الرقبة وهو ناذر جداً بسعر 2000 فرنك كذلك جلود الفهود المميزة وتباع بأسعار أقل ما بين 300 و 400 فرنك [1] .

وكثيرا ما كانت عمليات الصيد في المناطق الداخلية بالتعاون مع فرسان عرب يرافقون الزوار الفرنسيين مع الضباط تحدث عنها الكثير من الرحالة سواءا مدنيين أو حتى عسكريين ،كما ذكرنا أعلاه شهادة الضابط المعروف "ثريميلي" الذي وصف رحلة صيد في منطقة الغرب قرب "سعيدة" بأراضي "الحساسنة الشراقة" التي يقودها خليفة هذه القبيلة وحضرها الضباط الفرنسيون وكانت بمباركة مرابط القبيلة*** [2] ،وبالتوغل إلى المناطق الداخلية الصحراوية كذلك شارك قادتها في عمليات الصيد ،وينقل لنا مؤلف كتاب "بسكرة" صورة عن رحلات الصيد والقنص في المنطقة والزخم الكبير الذي يواكبها ،ويعتبر رحلات الصيد من أكثر المناسبات تشويقا للهواة والزوار من السواح ،الذين يتوجهون لبسكرة التي تتمتع بطبيعة ثرية ومتنوعة فهي تضم مختلف الحيوانات القاطنة بالمنطقة وحتى المهاجرة كبعض الطيور التي تهاجر إليها ،كذلك توفر الحيوانات البرية كالأسود والنمور والفهود ما بين جبال الأطلس والزيبان التي كانت تصطاد بين الفينة والأخرى ،غير أن المؤلف يتأسف عن النتائج السلبية للصيد المنظم في هذه المناطق ،فهو يضيف موضحا أنه أصبح من الصعب العثور على الأسود الأطلسية في شمال إفريقيا لنذرتها وإنقراضها بسبب الصيد[3] توافرت هذه الحيوانات وكانت رؤيتها من ضروريات الزوار بالتوازي مع عمليات الصيد المنظم[4] .

وهذه صورة لأسد بمنطقة بسكرة وهو من السلالة المحلية .

---

[1] Paul Boude, A Travers L'Algérie, …,op-cit, p.52,40.
[2] C.Trumelet, Les Français Dans Le Désert, op-cit, p.146.
[3] L'Abbé Jean Hurabielle, Au pays Du Bleu Biskra…, op-cit, p.94-99.
[4] Ibid, p.95.

ربعاً : نتائج الدراسة.

من خلال هذه الدراسة نخلص إلى عدة إستنتاجات حول حقيقة الدور السلبي الذي قامت به سلطات الاحتلال الفرنسي في التسبب المباشر في إنقراض الحيوانات البرية في الأراضي الجزائرية منذ بداية الاحتلال لتقضي على تواجدها نهائيا في أواسط القرن العشرين، وتنوعت قائمة الحيوانات التي كانت عرضة للإنقراض يحتاج كل نوع منها إلى دراسة خاصة ونعرض بعضها كالمهاة L'addax (*Addax nasomacculatus)* وهي ضباء كبيرة لها قرون وقضي عليها بالجزائر من قبل المعمرين لأجل قرونها ولم يتبقى منها إلا اعداد قليلة في صحراء مالي،وكذلك نذكر الضباع المرقطة La hyène rayée (*Hyaena hyaena)* ، وكانت متواجدة بأعداد كبيرة لكن تناقصت أعدادها وأصبحت قليلة جدا وقضى عليها المعمرون بحجة أنها حيوانات مضرة ومفسدة ، وكذلك في ما يخص حيوان بري آخر هو الوشق

Le lynx caracal d'Algérie (*Caracal caracal algira)* وكان يتواجد بأعداد كبيرة وتعرض للإصطياد لأجل فراءه وقارب على الإنقراض منتصف القرن.

وهناك حيوان آخر هو النعامة (*Struthio camelus*) (L'autruche d'Afrique du Nord وكانت منتشرة في منطقة الأغواط ووادي ميزاب مثلت للسكان حيوان نبيل فكانت تقدم كهدية تكريما للضيوف إضافة إلى الطلب الكبير على جلودها بأوروبا أما شحومها فكانت تستخدم في التداوي بالقصور– للإطلاع في هذه الإضافة الأخيرة: ماسينيسا بوعمامة حول الإستعمار الجديد والقضاء على الحيوانات منشور في 8 ماي 2014– ، بسبب من نتائج هذه الدراسة نذكر:

- دور الرحلات في رصد وتوثيق حقائق تاريخية حول التواجد المكثف لهذه الحيوانات في الأراضي الجزائرية أثناء دخول الاحتلال الفرنسي.
- إثبات تاريخي من الرحالة للدور السلبي والهدام الذي قامت به سلطات الإستعمار الفرنسي في الجزائر وبيئتها من غطاء نباتي وتنوع حيواني إذ كانت السبب المباشر في إنقراض الحيوانات البرية المفترسة في الغابات.
- قادت سلطات الاحتلال الفرنسي في البلاد عمليات صيد منظم ضد الحيوانات البرية بالبلاد.
- التجاوزات القانونية للصيد بفتح وتشجيع وتأطير هذا الصيد طيلة أيام السنة دون إحترام فترات التكاثر في تعد كبير على قوانين الطبيعة .
- الإستغلال السلبي لهذه الحيوانات سياحيا بتنظيم عمليات صيد للسائحين الوافدين للمستوطنة بمرافقة عسكرية.
- خلق طبقة من الصيادين المحترفين في صيد أسود البلاد ،والإشهار لهم بين المستوطنين والزوار.
- تشجيع عمليات الصيد رسميا بمنح مكافآت مالية تدفعها الإدارة للصيادين سواءا الضباط من العسكريين أم من المستوطنين المدنيين .
- الحملات المدنية للصيد لصالح المستوطنين لحماية مواشيهم من الإفتراس من قبل هذه الحيوانات.
- التعليمات الإدارية لحماية المستوطنين ومصالحهم من محاصيل ومواشي خاصة .
- المتاجرة القانونية التي فتحتها سلطات الاحتلال لجلود هذه الحيوانات البرية .
- تشجيع عمليات الصيد وإدماج الأهالي فيها.
- إعتبار هذه الحيوانات البرية حيوانات مضرة وتشجيع القضاء عليها .
- حصر مفهوم الضرر التي تسببه هذه الحيوانات بتهديد مصالح المستوطنين خاصة المواشي.
- القضاء على سلالة حيوانية خاصة بالمنطقة إنتشرت وإشتهرت منذ ما قبل التاريخ.

- إنعكاس السياسة الاستعمارية في كل المجالات في تاريخ الجزائر في الفترة الاستعمارية إذ وتثمينا للاستيطان طبقت السلطات الاستعمارية كل السياسات والوسائل التي مست نتائجها السلبية حتى الطبيعة والحيوانات التي تضررت خدمة للاستيطان ومصالح المستوطنين.
- الجزائر فقدت أهم ثرواتها البيئية بسبب الاحتلال الفرنسي ويمكن تصور التنوع البيئي والحيواني للبلاد وواقع غاباتنا اليوم لو لم يكن للاحتلال الفرنسي وجود ببلادنا.

خامساً :القائمة البيبلوغرافية للدراسة.

1- Badin, Adolphe., Jean Casteyras Aventures de trois Enfants en Algérie, Paris, Bibliothèque D'éducation et de Récréation, 1888.

2- Berteuil, Arsène., L'Algérie Française, Histoire-Mœurs-Coutumes-Industrie-Agriculture, Tome premier, Paris, Dentu, Libraire-éditeur 1856.

3- Boude, Paul., A Travers L'Algérie, Souvenir De L'excursion Parlementaire (septembre-octobre 1879), Paris, G.Charpentier, Editeur, 1880.

4- Certeux, Alphonse., E.Henry Carmoy, Contribution au folk-lore des Arabes. L'Algérie Traditionnelle, tome 1, Paris, Maisonneuve et Leclerc, Challamel Ainé, 1884.

5-Chalon, J., Souvenir D'Alger, Bruxelles , Librairie Classique A-N, Lebègue Et c^{ie} , 1887.

6- De Quivières, Ch.Marcotte., Deux Ans En Afrique, Paris, Librairie Nouvelle, 1855.

7- Dumas, Alexandre., Impression de voyage : Le Véloce ou Tanger, Alger et Tunis, Paris, [s.d], 1855.

8- Gastineau, Benjamin., Les Femmes et les Mœurs de l'Algérie, Paris, collection Hetzel, Libraire De Michel Lévy, Frères, 1861.

9- Imbert, Hugues., Quatre Mois Au sahel, Lettres et Notes Algériennes, Paris, Librairie Fischbacher, 1888.

10- Hurabielle, L'Abbé Jean., Au pays Du Bleu Biskra Et Les Oasis Environnantes, Paris, Augustin Challamel, Editeur, 189.

11- Shaw, Docteur Thomas., Voyage Dans La Régence D'Alger au XVIII ^{e} siècle, traduit de l'anglais par E.Mac Carthy (1830), Alger, editions G.A.L, 2007.

12- Trumelet, C., Les Français Dans Le Désert, Paris, Garnier Frères, Libraires-Editeurs, 1863